مركز القلب بصنعاء.. نوع جديد من النجاح

٣٠٠٠ عملية قلب مفتوح أجراها المركز حتى الآن.. وست عمليات يومياً

■ د.أحمد قاسم العنسي

■ د.أحمد القديمي

ب.. كان علي المحروقي (٧٠ عاما) في أفضل وضع له الأسبوع الماضي: حينما أعلن الفريق الطبي بمركز القلب في مستشفى الثورة العام بصنعاء، نجاح عمليته المعقدة، حينئذ، وقف الدكتور/ أحمد القديمي نائب مدير مركز القلب الواثق جدا من أداء الفريق الطبي ليقول:

"مبروك عم علي - عمليتك المعقدة نجحت"، وعلى المستوى الطبي "تأتي في المرتبة الثانية بعد عملية زراعة القلب".

من الداخل تابعت الثورة الأسبوع الماضي سير الأداء بمركز القلب والنجاح المستمر الذي يؤكد على مضي المركز قدما في جراحة القلب.

بالفعل كانت الصورة أكثر وضوحا بعد زيارة المحروقي إلى غرفته الخاصة بالطابق الثالث، فقد أدخل نتيجة احتشاء في عضلة القلب، وتم زراعة شرايين له.. وحسب الدكتور القديمي كانت المفاجأة للفريق الطبي بوجود أم دموية، والتي تعتبر طبيا الأخطر لأنها عبارة عن انسلاخ في جدران الشريان الأبهري تسبب الموت المفاجئ.

المبهج بالنسبة لنائب مركز القلب تمكن الفريق الجراحي بقيادة الدكتور محمد الفائز من إنجاح العملية التي لا تجرى إلا في أكبر مراكز القلب في العالم.

ليس الأمر مقتصرا على ذلك.. فلم ينفك المحروقي من توجيه تحايا خاصة لرئيس الجمهورية والقائمين على مركز القلب.

قال: "الآن أشعر بصحة جيدة... وشكرا للرئيس".

تحقيق وتصوير/ عبدالله حزام - فيصل علي

انطباعات.. حياة

● في نفس الغرفة بالدور الثالث من مركز القلب.. وفي الأجواء ذاتها يطلب جبر العامري ٣٠ عاما التحدث للمحرر يقول: أعاني منذ عام من مرض قلبي نتيجة تلف الصمام الأبهري ويتحدث الدكتور أحمد القديمي "أجريت له عملية استبدال صمام وحالته جيدة الآن".

ويحمل جبر العامري انطباعا حسنا عن مركز القلب يقول: أداء الأطباء متميز والعناية فائقة وزاد بالقول: بعد دخولي المركز لإجراء التشخيص أيقنت أن لدينا امكانيات متميزة تضاهي دول العالم الأخرى، يأخذ جبر نفساً عميقاً طالما صادره المرض، وبرضى بالغ يقول: أجريت لي العملية بقرار طبي منحت من خلاله ألف دولار هي رسوم العملية فقط.

عروض نادرة

إن مواقف إنسانية كبيرة تجاه المرضى، هي عروض نادرة يقدمها القائمون على مركز القلب وهيئة مستشفى الثورة: على سبيل المثال: أدخل محمد سيف ٤٨ سنة من محافظة تعز إلى مركز القلب منذ أسبوعين وهو يعاني من ذبحة صدرية نتيجة احتشاء في القلب، والمطلوب تدخل سريع... إذ لا وقت لإجراءات إدارية أو إحالة على المحاسب.

يقول: نائب مدير مركز القلب أدخل المريض العناية لمدة يومين وتم عمل قسطرة تشخيصية سريعة ووجد لديه شريان مسدود.

اتضح أن الرجل قدرته المالية (صفر) في وقت يحتاج لعملية ودعامة طبية.. أجرينا له العملية تحت مسمى "حالات حرجة" وقد غادر المستشفى.

واضاف: "شعرنا بسعادة كبيرة لإنقاذه من براثن الموت".

وانتهت المعاناة

بداخل غرفة العناية بعد إجراء العمليات لم يعد محمد الشعبي ٦٠ عاما يتأوه كما كان من قبل، فقد بدا مستسلما لشبكة من الأسلاك الناعمة الموصلة بأحدث الأجهزة تلتصق بسائر جسده... بعد أن أجريت له عملية زراعة شرايين تاجية.

بدا لنا مفعما بالأمل يقول: "أصبحت أشعر بصحة جيدة".

وقبلها خاب أمله من الأطباء نتيجة لرحلة المعاناة التي بدأها في تعز منذ عام بحثا عن تشخيص دقيق لحالته دون فائدة قال: كانت نتيجة التشخيصات أني أعاني من تقلصات في عضلة الكتف، لكن بمركز القلب إتضحت المسألة.

ولبد ١٥ عاماً انتهت مخاوف أسرته بعد أيام عصيبة قبل إجراء العملية، وأقسم عمه الذي كان يقف إلى جوار سرير وليد أنه لم يذق طعم النوم خلال الأسبوعين الماضيين الا "سويعات" ويستيقظ منها فزعا.

لقد بدأ وليد بالتفكير جديا بالمدرسة قال: - وعدني مدير المدرسة بأن يجري لي امتحاناً خاصاً بعد العملية وتابع "إنني بخير الآن".

الأمور جيدة.. هكذا يبدو الحال.. لقد استشفينا هذا الإنطباع من حركة التعامل السلسة مع المرضى، ويبدو أن صالح الذي تركنا مسرعا ليكمل بعض إجراءات عملية أخيه كان يحمل إنطباعا جيدا عن أداء مركز القلب.

وأخبرنا كثيرون ممن ينتظرون دورهم أمام مركز القلب لإجراء جراحات لهم أو لأحد أقاربهم أن الأنباء الجيدة عن نجاح العمليات بالمركز تحفزهم على العلاج فيه.

الإنطباعات الجيدة عن مركز القلب صادرت مخاوف الكثيرين وجعلتهم يصادرون طموحاتهم بالسفر للخارج من أجل العلاج.. ما دامت تتحقق في وطنهم وبأقل تكلفة ممكنة وتسهم الدولة بمنحها للمريض في أحيان كثيرة.

أمور مطمئنة

ليست اليمن بلدا غنيا. وهذا الأمر لافت للأنظار عند التجوال في شوارع مدنها.. لكن الأفكار البناءة طالما تحقق ثمارا إيجابية، ومن بين هذه الأفكار تفتقت فكرة مركز القلب بمستشفى الثورة العام بصنعاء في العام ١٩٩٧م، وعمل بشكل مركز عام في العام ٢٠٠٠م، وتم افتتاحه رسميا في سبتمبر من العام ٢٠٠٤.

١٠٠٠ دعامة معالجة تكلفة الواحدة ٣٠٠٠ دولار هدية رئيس الجمهورية للمركز

تحت بند "حالات حرجة" تجرى جراحات عاجلة للمعدمين مجاناً

وحسب نائب رئيس المركز الدكتور أحمد صغير القديمي "فإن المركز يعمل بسعة ١١٤ سريراً، مقسمة على ثلاثة أدوار، خصص الدور الأول لأمراض قلب الأطفال، والدور الثاني لأمراض القلب الباطني، والدور الثالث لأمراض القلب الجراحي".

ويحتوي كل دور على ٣٠ سريرا إلى جانب غرف خاصة للمرضى ذوي الاحتياجات الخاصة بحسب تنوعهم، وهي غرف مجهزة بأحدث التجهيزات.

وأضاف: بالمركز ثلاث غرف عمليات، وغرفتين للقسطرة التشخيصية والعلاجية، ويقوم المركز بإجراء "ست" عمليات في اليوم الواحد كحد أقصى كعمليات قلب مفتوح، وحد أدنى عمليتين.

وبالنسبة للقسطرة، تجرى يوميا عشر عمليات قسطرة تشخيصية وأربع عمليات قسطرة علاجية، تكون إما توسيع للصمام التاجي بالبالون أو توسيع الشرايين التاجية ببالون الدعامة.

الأنباء حول الكادر مطمئنة أيضا يقول الدكتور القديمي: لدينا كادر قوامه ٧٠ طبيبا متخصصا موزعين ما بين طب باطني، أمراض قلب، جراحي قلب، بالإضافة إلى ثمانية أطباء استشاريين وثمانية اختصاصيين، وأكثر من ١٨ طبيباً عاماً، وأكثر من ١٤٠ فنياً ما بين ممرضين، وفني أشعة، وتمريض عادي، وفنيي تخدير، وممرضين رعاية وآخرين خاص بالعمليات قبل وبعد إجرائها.

يمضي قدما

ما من شك في أن مركز القلب يمضي قدما، وهذا ما يؤكده الاهتمام بالمركز وتجهيزاته، فبالإضافة إلى ما قيل حول التجهيزات يقول نائب رئيس المركز: لدينا في المركز ثلاث غرف عناية مركزة، وسبعة أسرة في قسم القلب - باطنية، لإستقبال المرضى الذين يأتون في حالات حرجة كالمصابين بالذبحة الصدرية أو الفشل القلبي، بالإضافة إلى غرفتين عناية داخلية ووحدة عناية بعد العمليات وتحتوي على ١٣ سريراً إضافة إلى غرفة عناية ثالثة بجوار وحدة القسطرة لمواجهة أي مضاعفات قد تحدث.

ما قبل أمر جيد، لكن ما يشير بقوة إلى نجاح المركز خلال فترة وجيزة هو اجراؤه لأكثر من ٣٠٠٠ عملية قلب مفتوح حتى الآن إنه رقم يستدعي التوقف إذا ما حسبنا كلفة هذه العمليات خارج البلاد.

لكن فقط ما يتوقف أداء المركز عنده بحسب تأكيد الدكتور القديمي: هي حالات اختلال عضلة القلب، او مرض كهربية القلب التي يحتاج المريض بها إلى دراسة للخريطة الكهربية للقلب.

وأفاد بأن هذا الوضع يستدعي إرسالهم إلى الخارج عبر المركز بعد قرار اللجنة الطبية.

وقال: خطتنا القادمة تجاوز هذه المشكلات.

بإمكان هذا النجاح أن يقود إلى مستويات أرقى وهذا ما يتحقق يوميا بمركز القلب.

ويدلي مدير عام هيئة مستشفى الثورة العام الدكتور/ أحمد العنسي بدلوه في هذا الاتجاه مؤكدا انتقال المركز إلى آفاق متقدمة بعد أن أصبح يجري العمليات المعقدة التي تجرى في أرقى مراكز القلب في العالم وبنجاح كبير.

ويستدل على تأكيده بأمثلة نجاح قريبة يقول: قبل أيام وصلت إلى المركز حالتين كان متوقع لهما الموت على الطاولة لكن فريق الجراحة بالمركز تمكن من إجراء عمليات استعادة حياة بنجاح.

هدية الرئيس

ويشير الدكتور العنسي إلى لفته إنسانية كبيرة للأخ/ رئيس الجمهورية الذي أهدى مركز القلب ١٠٠٠ دعامة معالجة تبلغ قيمة الواحدة ٣٠٠٠ دولار.

وقال :تمنح هذه الدعامات لمرضى القلب مجانا بخلاف مراكز القلب في الدول الغنية التي لا تعطيها للمريض إلا بتكلفتها، مضيفا: قد يحتاج المريض لأكثر من دعامة ومع ذلك نعطيه،كما يحتاج المريض إلى علاج قبل العملية باسبوع وبعدها بستة اشهر، وهي أدوية غالية الثمن يمنحها المركز للمريض مجانا إلى جانب الدعامات.

لا مجال للمقارنة

● لكن السؤال حول تكاليف عمليات القلب محلياً، ربما يظل السؤال الملح الذي يطالب بإجابة شافية!

وفي هذا الإطار يقول الدكتور أحمد العنسي.. لا مقارنة فتكاليف العملية في الخارج باهظة جدا مثلا عملية صمام قلب واحد تكلف ٥٠٠٠ دولار في الخارج و٦٠٠٠ دولار للشريان، ٣٠٠٠ دولار لتوسيع الصمام بالبالون، كما تكلف عملية القسطرة العلاجية ٦٠٠٠ دولار مشيرا إلى أن هذه المبالغ هي أجور لعمليات فقط غير التكاليف الأخرى والأدوية.

وعلى المستوى المحلي بمركز القلب، حسب الدكتور العنسي تجرى معظم العمليات مجاناً، وقد تصل تكلفة العملية التي تحسب في الخارج بعشرة آلاف دولار إلى ٢٤٠٠ دولار فقط، ويعد هذا الرقم الأعلى لدينا، ناهيك عن التخفيضات التي نمنحها حتى للقادرين بينما نجري عملية القسطرة العلاجية بـ٣٠٠ ألف ريال يمني.

لافتا في الوقت ذاته إلى أن الحاصلين على قرارات طبية من اللجنة وهم غير قادرين على الدفع تجرى لهم عمليات مجانية إضافة إلى الحالات الحرجة التي لا يمكن أن تنتظر قرار اللجنة بل تجرى لهم الفحوصات بشكل سريع وتجرى لهم عمليات دون قيد أو شرط.

وقال مدير عام المستشفى: هناك من يأتي إلينا ولديه إنسداد في شريان رئيسي، أو مرضى أجريت لهم عمليات صمامات خارج البلاد قبل سنوات وحصلت لهم مضاعفات.

وهذه الحالات تدخل المركز دون انتظار قرار اللجنة الطبية وتجرى لهم عمليات إنقاذ.

وذكر أنه في العام ٢٠٠٤م تم إنقاذ حياة نحو ٢٣٧ حالة.

الهم الأكبر

وفي ما يتعلق بالتدريب قال الدكتور العنسي:

- لدينا الآن عشرون طبيبا يتلقون تدريبا دقيقا بمدينة الحسين الطبية بالأردن ولمدة تتراوح بين ٣ إلى ٩ اشهر.

وتتواصل عملية تدريب الكادر بعد توقيع عدد من الاتفاقيات مع عدد من الدول العربية والغربية، ويتطلب الأمر مزيدا من الصبر حتى ينهي هؤلاء فترة التدريب.

وأكد أن المركز مستمر في إرسال مجموعات من الممرضين والأطباء إلى الأردن وإيطاليا وفرنسا والهند للحصول على تدريب متخصص في مجال أمراض القلب.

ثقافة الإهمال

● لكن ماذا بالنسبة للأشياء أكثر أهمية، والمتصلة مباشرة بالمريض، لقد ساعدنا على معرفة المزيد حول ذلك مدير عام مستشفى الثورة الدكتور احمد العنسي... الذي يعزي الكثير من نجاح مركز القلب إلى اهتمامه وسعيه الحثيث لتقديم خدمة جليلة للمرضى حسب تأكيدات المرضى والأطباء.

قال: "مرضى القلب في اليمن يصلون إلينا في حالة مزرية ومتأخرة، وأعدادهم هائلة" لكن التوسعة التي شهدها المركز خففت كثيرا من ضغط جحافل المرض.

وأرجع سبب تدهور مرض القلب في اليمن إلى غياب الثقافة الصحية، فأكثر أمراض القلب شيوعا هي روماتيزم القلب، والذي يأتي بسبب إهمال أمراض التهابات الحلق المتكررة دون علاج.

وقال: إن هذا المرض قضى عليه في معظم دول العالم ليس بالجراحات، ولكن بتوعية الناس بالاهتمام بالمسببات وتأتي العيوب الخلقية في المرتبة الثانية بين أمراض القلب في بلادنا، وقال العنسي أن من أسبابها "الزواج من الأقارب في المرتبة الأولى، وبعده تعاطي أدوية دون وعي أثناء فترة الحمل ثم يأتي التدخين وغيرها من الأسباب".

بالإضافة إلى ذلك يعاني المرضى من "أمراض العصر" الخاصة بالقلب وهي الجلطات والذبحات الصدرية وحسب الدكتور العنسي في اليمن تحمل خصائص فريدة وقال: "الحالات تأتي متأخرة ومن وضع حرج، عكس مرضى بلدان العالم الآخر الذين يسارعون إلى المستشفى منذ الوهلة الأولى".

وتظل مشكلة العيوب الخلقية عند الأطفال ذات طابع خاص مما يستدعي جهوداً كبيرة.

يقول الدكتور العنسي: نتغلب على ذلك بتجميع الأطفال الذين يعانون من عيوب خلقية في القلب ثم نقوم باستدعاء فرق اجنبية... وحتى الآن زار المركز نحو ٢٠ فريقا طبياً.

أخيرا..

خلاصة ما وصلنا إليه أننا أمام مخلص من براثن الموت المحقق فينبغي أن تتضافر كل الجهود لدعمه كي يمضي قدما على منوال النجاح.. ولكي تصبح قلوبنا أكثر أمناً.

■ عملية قسطرة علاجية